بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

هذا الكتاب ، كان أول أمره رسالة ماجستير ، قدمتها لكلية الآداب بجامعة الخرطوم ، ونوقشت عام ١٩٨٤م .

ولجنة المناقشة كانت مشكلة من :

١- رئيس اللجنة ، الأستاذ الدكتور (الحبر يوسف نور الدائم) رعاه الله .

٢- والأستاذ الدكتور (صلاح الدين المليك) رحمه الله .

٣- والأستاذ الدكتور (يوسف الخليفة أبو بكر) حفظه الله . وللأستاذين الجليلين (صلاح الدين) و(يوسف) عميق شكري على الملاحظ التي كانا قد أبدياها أثناء المناقشة .

فأسأله تعالى أن يجيزيهما خير الجزاء على ما أبديا من ملاحظ قيمة .

ومما أسفت له ظهور أخطاء في الطبعة الأولى ، وسيرى مقتني هذه الطبعة صواب ما كان قد رآه في الطبعة الأولى .

والله ولي التوفيق ،

٢٩ من جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ

الموافق : ٢ يونيو ٢٠١١ م

أحمد البيلي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله على جزيل نعمائه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه ، والتابعين والمتبعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

(١) لماذا اخترت سورتي الفاتحة والبقرة ميدانًا لهذه الدراسة ؟

لقد أردت أن يكون موضوع رسالتي هذه أحد جوانب القرآن الكريم ، إذ هو كتاب العربية الأول ، ومعجزة الإسلام الخالدة بأسلوبه الفريد ، وتشريعه الحكيم . فإن أي درس يتصل بأية ناحية من نواحيه ، يعتبر كشفًا لخبايا هذا الكنز الإلهي العظيم . فهو كما وصفه النبي ﷺ « لا تنقضي عجائبه ولا يَخْلَقُ عَلى كثرة الرد ... ».

لماذا الشواذ ؟

وميدان المقارنة بين متواتر القراءات وشواذها ميدان قل رائدوه ، ومنهل ندر واردوه ـ وطبعي أن أقتصر منه على مقدار محدد ، سورة أو سورتين ، جزء أو جزئين ، لتعذر اتخاذ القرآن كله ميدانًا لهذا النوع من الدراسة ، إذ أن الجزء الواحد منه يحتوي على عشرات الأسماء التي رويت فيها شواذ القراءات إلى جنب متواترها . لذا كان الاقتصار على مقدار معين منه أمرًا لابد منه لحجم رسالة جامعية لنيل درجة علمية . وقد اخترت هاتين السورتين ميدانًا لهذه الدراسة المقارنة بين القراءات المتواترة والقراءات الشاذة . ولقد احتوتا على مادة كافية لموضوع الرسالة « الشواذ حول الأسماء » . بل فيهما مادة ثرة حول « الشواذ في الأفعال » و« الشواذ في الحروف » و« الشواذ في الجمل » ولأن لهما مَزِيَّة على باقي السور ،

(*) هذا جزء من حديث طويل صحيح . أورده الحاكم في المستدرك ، وأقر الحافظ الذهبي الحكم بصحته (المستدرك ، ١: ٥٥٥) وأورده الدارمي في سننه (٢/٣١٠) .

أما الفاتحة فقد روى البخاري رحمه الله تحت باب « فضل فاتحة الكتاب » بسند إلى أبي سعيد الخدري ، أن النبي ﷺ قال له : « ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ؟ فأخذ بيدي فلما أردنا أن نخرج قلت : يا رسول الله : إنك قلت : ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن ؟ قال : الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته »[1].

وأما عن سورة البقرة ، فقد روى مسلم رحمه الله في صحيحه ، أن النبي ﷺ قال : « اقرأوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة »[2] وروى الترمذي رحمه الله ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بعث رسول الله ﷺ بعثًا ، وهم ذوو عدد ، فاستقرأهم ، حتى أتى على أحدثهم سنًا ، فقال : ما معك يا فلان؟ قال : معي كذا وكذا وسورة البقرة : قال : أمعك سورة البقرة ؟ فقال : نعم . قال : فاذهب فأنت أميرهم »[3].

منهج البحث :

لقد اقتضت طبيعة موضوع الرسالة ، أن تبنى على : تمهيد ، وعشرة فصول وملحق وخاتمة ، وقد تناولت في التمهيد ما لم أتناوله في الفصول العشرة ، فقد أردت من التمهيد إعطاء القارئ صورة عن : كيف أنزل القرآن ؟ وكيف تلقى جبريل عليه السلام القرآن ؟ وكيف تلقاه منه النبي ﷺ ؟ وتعرضت لظاهرة الوحي « كيف كانت وقربتها للأذهان بمقارنة حال الموحَى إليه بحال المُنوَّم مغناطيسيًّا ، أما الفصول العشرة ، فإن الأربعة الأولى منها تعتبر كالتمهيد أيضًا للفصول الستة الأخيرة ، التي تعتبر لب الرسالة ومحورها الذي تدور عليه ، وهو « بيان طبيعة الاختلاف بين القراءات المتواترة والقراءات الشاذة » ولذا فقد رأيت أن أخصص الفصول الأولى لأمور تتعلق بالقرآن ، وهي وشيجة الصلة بالقراءات متواترها وشاذها .

---

(١) صحيح البخاري بهامش فتح الباري ٩/٤٩ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/٨٩ .

(٣) سنن الترمذي ٥/١٥٦ ، ١٥٧ (وحسنه) .

الفصل الأول : القراءات قبل توحيد الرسم

وقد جعلته خاصًا ببيان حال القراءات في حياة النبي ﷺ ، والخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

وتعرضت لحديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» وبينت وجه الحق في ذلك .

واستطعت ـ حسب ظني ـ أن أوفق بين القائلين : بأن مفهوم العدد غير مقصود ، وأن المراد التوسعة ، وبين القائلين بأن دلالة العدد مقصودة ، وأن الأوجه التي تعتبر صورًا لاختلاف القراءات سبع ليس غير .

وأوضحت في هذا الفصل أنه لم يطرأ على تعدد القراءات جديد في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولكن الذي طرأ هو جمع المصحف في صعيد واحد لأول مرة في تاريخ القرآن .

الفصل الثاني : القراءات بعد توحيد الرسم

وأدرت هذا الفصل على خمسة مباحث . بينت فيها الدواعي التى اقتضت توحيد رسم المصاحف في خلافة عثمان رضي الله عنه . وطريقة تكوين اللجنة التي كُلِّفت بإنجاز العمل ، وذكرت الأسباب التي استند عليها سيدنا عثمان رضي الله عنه فجعل «زيد ابن ثابت» رئيسًا لِلَّجنة وذكرت عدد المصاحف العثمانية التي كتبتها اللجنة ، ورجحت أنها ستة فقط ، وذكرت حججًا ثلاثًا اعتمدت عليها فيما ذهبت إليه .

وبينت حال الرسم في تلك المصاحف ، وأنه كان بدون علامات الشكل من (فتحة وكسرة وضمة وشدة ، وبدون نقط الإعجام ، وبدون صورة الهمزة) .

الفصل الثالث : القراءات المتواترة

وقد قصرت هذا الفصل على القراءات المتواترة ، واقتضت طبيعته أن أديره على تسعة مباحث ، تحدثت عن ماهية السند المتواتر ، وقارنت بين السند عند علماء القراءات والسند عند علماء السنة ، وذكرت كيفية تلقي القراءات ، وما هي الأركان والشروط التي ينبغي توافرها في القراءة القرآنية التي تعتبر حجة في إثبات الأحكام

الفقهية . وتعرضت لأئمة القراءات المتواترة ، والأسباب التي دعت العلماء إلى تعيين هؤلاء الأئمة دون سواهم من القراء . وأوضحت أنه لا علاقة علمية أثرية بين «القراءات السبع» و«الأحرف السبعة» التي نص عليها الحديث النبوي الصحيح .

وإنما هو اختيار مصادفة من ابن مجاهد رحمه الله . وذكرت الدليل على أن المحافظة على القراءات القرآنية فرض كفاية . وأوضحت جواز تركيب القراءات بشرط عدم الإخلال بالمعنى .

ثم تعرضت لمواقف وقفها بعض العلماء من القراءات المتواترة ، فرددت هجومهم وانتصرت لأئمة القراءات المتواترة ورواتها . ورأيت أن ألحق بهذا الفصل مبحثًا يتعلق باثنين من المستشرقين ، لأنهما هاجما القراءات المتواترة ، وقد أتيت على نماذج من صور تهجمهما على القراءات دون تفرقة بين قراءة متواترة وقراءة شاذة ، وأوضحت للقارئ مبلغ الخطأ الذي وقعا فيه .

وقد أردت بهذا المبحث أن أعطي القراء صورة عن أساليب الاستشراق في نقد نصوص القرآن . فلعل باحثًا آخر ، يخصص رسالة لـ«مفتريات المستشرقين حول القرآن» ولا يكتفي بواحدة أو اثنتين ، بل يستقصي فلا يترك أثرًا لمستشرق حول القرآن وقراءاته إلا بعد أن يقف عليه ، ويتصدى لكشف ما فيه من عُوار .

الفصل الرابع : القراءات الشاذة .

وقد اشتمل على ستة مباحث ، بينت في أولها : الفرق بين الشذوذ في اللغة والشذوذ في الاصطلاح ، وفي ثانيها : قَسَّمتُ القراءات الشاذة ثلاثة أقسام . وفي ثالثها : ترجمت المشهورين من قراء الشواذ . وفي رابعها : أوضحت ما ذهب إليه العلماء من جواز الاستدلال بالقراءة الشاذة في مجال الدراسات اللغوية ، وذكرت اختلاف مذاهب الأئمة في جواز الاحتجاج بها في ميدان الأحكام الفقهية . وذهبت في هذا المبحث إلى صحة الاستدلال بالقراءة الشاذة على الحدث التاريخي بشرط ألا يتناقض ما تدل عليه القراءة الشاذة مع ما تدل عليه القراءة المتواترة ، ودَلَّلْتُ على صحة ما ذهبت إليه بواقعتين تاريخيتين ، أولاهما : إيصاء سيدنا إبراهيم عليه

السلام حفيده «يعقوب» عليه السلام، اعتمادًا على قراءة ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ بنصب (يعقوبَ) على النحو الذي ستراه مبسوطًا في فصل «الاختلاف النحوي» «المبحث الأول» والأخرى انتصار المسلمين على الرومان، بمعركة «تبوك» وما ترتب عليه، اعتمادًا على القراءة الشاذة ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ ببناء الفعل للفاعل (غَلَبَتِ) ﴿ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ ببناء الفعل للمجهول (سَيُغْلَبون). على النحو الذي ستراه مبسوطًا في المبحث التاسع من الفصل الثالث «القراءات المتواترة».

وفي خامس المباحث: ذكرت اختلاف الفقهاء في القراءة بالشاذ في الصلاة، ورجحت ما ذهب إليه الإمام أحمد بن حنبل من صحة الصلاة مع الكراهة، إذا صح سند القراءة الشاذة.

وفي المبحث السادس منه: تناولت اختلاف الفقهاء في القراءة بالشاذ خارج الصلاة وذكرت أدلة من أجازوها، وأدلة من حكموا بحرمتها، وذهبت مذهبًا وسطًا بين هؤلاء وهولاء، فرأيت أنها تكره كراهة شديدة لأسباب أبديتها في آخر ذلك المبحث.

الفصل الخامس: الاختلاف اللغوي، وتحته وجهان من وجوه الاختلاف

وقد خصصت هذا الفصل لبيان ما بين المتواتر والشاذ من اختلاف لغوي ذي شعبتين: فالاختلاف قد يكون معنويًا كالاختلاف بين القراءة المتواترة ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ والقراءة الشاذة: ﴿إني جاعل في الأرض خليقة﴾. وقد يكون الاختلاف لفظيًا لا معنويًا، كالقراءة المتواترة في ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ والشاذة التي تقرأ ﴿فول وجهك تلقاء . . .﴾ وفي هذا الفصل أربعة مباحث، أولها: الاختلاف في الأسماء المرفوعة. والثاني: في الأسماء المنصوبة، والثالث: في الأسماء المجرورة. والرابع: في الأسماء المبنية. وقد تبين لي ألا تناقض بين الدرجتين من القراءة في جميع الأسماء التي تناولتها المباحث الأربعة وعدتها (١٠٣) مائة وثلاثة أسماء.

الفصل السادس: الاختلاف الصوتي

وهو الوجه الثالث من وجوه الاختلاف وقد اقتصرت في هذا الفصل على بيان صور الاختلاف الصوتي بين المتواتر والشاذ من القراءات . وجعلته ثلاثة مباحث : عالجت في الأول : الاختلاف بالإبدال أو القلب أو الإدغام . وعالجت في الثاني : الاختلاف بالإمالة . وعالجت في الثالث الاختلاف بتقديم الصوت أو تأخيره .

وشملت الدراسة هنا (١٢) اثني عشر اسمًا ، هي التي عثرت عليها في نطاق الدراسة المحدد .

ولم يؤد هذا الاختلاف الصوتي تناقضًا في المعاني والدلالات .

الفصل السابع : الاختلاف النحوي ، وهو الوجه الرابع من أوجه الاختلاف .

وتطلبت بنية هذا الفصل أن يقوم على ثلاثة مباحث : الأول دار حول الأسماء المرفوعة في متواتر القراءات ، وجاءت في شواذها منصوبة أو مجرورة .

الثاني : دار حول الأسماء المنصوبة ، وجاءت في شواذ القراءات مرفوعة أو مجرورة إلخ . .

الثالث : دار حول الأسماء المجرورة ، وجاءت في شواذ القراءات مرفوعة أو منصوبة إلخ . . وشملت الدراسة بمباحثها الثلاثة (٣٣) ثلاثة وثلاثين اسمًا ولم ينشأ من هذا الاختلاف الإعرابي ونحوه تناقض في الدلالة بين ما تواتر وما شذ من القراءات .

الفصل الثامن : الاختلاف الصرفي

وهو الوجه الخامس من أوجه الاختلاف وقد أردت بهذا النوع من الاختلاف بين القراءات المتواترة والقراءات الشاذة ، ذلك الاختلاف الذي يمكن أن يسمى «اختلاف الصيغ» فإذا رُوِي اللفظ في متواتر القراءات مصدرًا ، ورُوِي في شواذ القراءات فعلاً ماضيًا ، أو رُوِي مصدرًا ولكن بصيغة أخرى ، فهذا خلاف لا يوصف بأنه لغوي ولا صوتي ولا نحوي . ولكن ينطبق عليه وصف «الاختلاف الصرفي» وكذا لو رُوِي اللفظ في متواتر القراءات مفردا ، ورُوِي في شواذها جمعًا . وهكذا

بقية المباحث الصرفية الأخرى التي انقسم إليها هذا الفصل وجملتها ستة مباحث . وفي جميع هذه المباحث لم يترتب على الاختلاف تناقض في المعنى ، فإما أن تكون القراءتان بمعنى واحد ، أو تدلان على معنيين مرادين جميعًا .

الفصل التاسع : الاختلاف بالذكر والحذف

وهو الوجه السادس من أوجه الاختلاف . فلن تجد في هذا الفصل واحدًا من أنماط الاختلاف السابقة ، ولكن الاختلاف هنا قائم على دعامتين . أولاهما : أن يكون الاسم مذكورًا في القراءة المتواترة ، ومحذوفًا في القراءة الشاذة . والأخرى : أن يكون الاسم محذوفًا في القراءة المتواترة ومذكورًا في القراءة الشاذة . ولم يترتب على هذا النوع من الاختلاف اختلاف في الدلالة ولكن اتفاق تام في المعاني ، إلا في موضع واحد ، فقد ترتب فيه على الاسم المذكور معنى زائد ، وذلك في القراءة الشاذة : ﴿**ربنا وابعث في آخرهم رسولا**﴾ على النحو الذي ستراه مفصلاً في الفقرة الثالثة من المبحث الثاني من هذا الفصل .

الفصل العاشر : الاختلاف بالتقديم والتأخير

وهو الوجه السابع من أوجه الاختلاف . وهذا هو الفصل الوحيد الذي دار البحث فيه حول اسم واحد ، « الملائكة » إذ أنه دون غيره من الأسماء جاء متأخرًا في القراءات المتواترة ، ومتقدمًا في القراءات الشاذة والمعنى واحد على كلتا القراءتين .

الملحق :

أما الملحق فقد ترجمت فيه قراء الشواذ الذين أسندت إليهم قراءات شاذة ووردت أسماؤهم خلال فصول الرسالة ولم يكونوا من الصحابة ، واشتمل الملحق كذلك على من لم أجد لهم ترجمة في كتب طبقات القراء وغيرها ولكن عُزِيَت إليهم قراءات شاذة . أما الأعلام الأخرى ، الذين نُسِبَتْ إليهم أقوال ، كالفقهاء والمحدثين والمفسرين ، واللغويين والنحاة وغيرهم ، فقد أغفلت ذكر تراجمهم متعمدا لملحظين : أحدهما : أن صلتهم بالقراءات ليست كصلة أصحاب الشواذ

بها . والآخر : لأني لو ترجمت لكل من أسند إليه رأي ، أو عُزِيَ إليه قول إلخ . . لكانت هذه الرسالة ضعف حجمها الذي بين أيديكم وذلك أمر غير مألوف في الرسائل الجامعية ، ذات الزمن المحدد والكم المراد .

الخاتمة :

وأما الخاتمة فقد كانت خلاصة لما جاء في التمهيد والفصول العشرة وقد أشرت فيها إلى ما أظنه جديداً في المباحث القرآنية .

فها هو ذا التمهيد ، تقفوه الفصول العشرة ، ويعقبها الملحق الخاص بتراجم مَنْ عزيت إليهم شواذ القراءات ، ثم تتلوه الخاتمة .

تمهيد

(أ) ما القرآن ؟

القرآن هو كلام الله ، المسموع من القارئ ، المحفوظ في الصدور ، المكتوب في المصاحف . المقروء بالألسنة ، الذي أنزله الله على قلب سيدنا محمد ﷺ بوساطة جبريل عليه السلام[1].

وقد كان القرآن قبل إنزاله في (اللوح المحفوظ) بدليل قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (البروج:٢١،٢٢) ومن هذا اللوح المحفوظ من الشياطين أن تَصِل إليه ، أُنزل القرآن إلى سماء الدنيا في شهر رمضان ، وفي ليلة القدر منه ، بدليل قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ (البقرة:١٨٥) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ (القدر:١) .

وفي المراد بإنزال القرآن ليلة القدر من رمضان ثلاثة أقوال لعلماء التفسير أحدها : أن القرآن كله أُنزل إلى سماء الدنيا في تلك الليلة من رمضان ، ثم أُنزل منجمًا على النبي ﷺ في نحو عقدين وبضع سنين[2].

الثاني : كان الله يُنزل في ليلة القدر من كل سنة إلى سماء الدنيا ما سينزله إلى النبي ﷺ في سائر العام .

الثالث : أن بدء نزوله على النبي ﷺ كان في ليلة القدر من رمضان[3].

---

(١) بتصرف من المحلَّى لابن حزم (٣٢/١) .

(٢) اختلفت الرواية حول عدد سنوات نزول الوحي بين ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ سنة .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (١٢٦/١٦) ونقل الجمل في حاشيته على الجلالين (٩٩/٤ ، ١٠٠) قول من قال : إنها ليلة البراءة وهي ليلة النصف من شعبان والراجح عند الجمهور ما ذكرته .

وإن منطوق الآيتين الكريمتين مجتمعتين ، يحتمل الأقوال الثلاثة : لأن كلتا الآيتين لم تتعرضا للموضع الذي أُنزل إليه ، ولا للمكان الذي أُنزل منه ، ولا إلى المقدار الذي أُنزل . والقرآن يطلق على كل ما بين دفتي المصحف كما يطلق على بعضه .

(ب) ظاهرة الوحي :

يؤمن كل مسلم بأن القرآن الكريم جاء إلى النبي ﷺ ، من الله سبحانه وتعالى ، عن طريق الوحي . ويشاركهم في هذا التصديق بعض العلماء الغربيين من أمثال موريس بوكاي[1] وللوحي في اللغة عدة معان : فمنها الإلهام الفطري ، والإلهام الغريزي والإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيماء . وقد عبر القرآن بكلمة « أوحى » عن كل هذه المعاني فقال عن الإلهام الفطري ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ (القصص:٧) وقال عن الإلهام الغريزي : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ (النحل:٦٨) وقال عن الإشارة السريعة : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (مريم:١١) .

وعبر القرآن بـ(يوحي) عما تلقيه شياطين الإنس والجن في بعض القلوب من خواطر السوء ، فقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام:١١٢) وقال : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ﴾ (الأنعام:١٢١).

ويطلق الوحي في اصطلاح الشريعة الإسلامية على :

« إعلام الله من اصطفاه من عباده ما أراد إبلاغه له من نبأ غيبي ، أو تكليف شرعي ، بطريقة خفية غير معتادة للبشر »[2].

---

(١) عالم فرنسي اسمه Maurice Bucalille وله كتاب بعنوان « القرآن والتوراة والإنجيل والعلم » وقفت على ترجمته العربية ط/ القاهرة ١٩٧٩ .

(٢) وعرفه رشيد رضا بأنه « عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من الله بواسطة أو بغير واسطة (الوحى المحمدي ص٣٥) .

والوحي الشرعي أربعة أنواع :

فمنه ما يكون عن طريق الرؤيا الصادقة ،وهي أول ما بدئ به النبي ﷺ من أنواع الوحي ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصباح . ومنه ما يكون إلهامًا يقذفه الله في قلب من يوحي إليه ،على نحو يوقن معه الموحَى إليه بأن هذا من عند الله .ومنه ما يكون عن طريق جبريل عليه السلام .ومنه مكالمة الله لعبد من عباده مباشرة . كما حدث لموسى عليه السلام .

ولقد صَدَّق المؤمنون بالوحي على اختلاف صوره ، لورود النصوص الدالة عليه من آيات القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة الإسناد . وأنكره الماديون في العصور الماضية ، لأنهم لم يكونوا يؤمنون إلا بما تدركه الحواس ، ويخضع للتجارب المَعْملية . ولو أنهم حكّموا عقولهم لانحازوا إلى جانب المؤمنين . فأي استحالة في أن يوصل الله تعالى ما يريده من خبر أو حكم أو أمر أو نهي إلخ . . لمن شاء من عباده عن طريق الرؤيا الصادقة أو الإلهام ، أو عن طريق أحد الملائكة ؟ . . . إن العقل السليم لا يتصور استحالة ذلك . فكل من الموحِي والموحَى إليه موجود ، وفي الموحِي قدرة على الإيحاء ، وفي الموحَى إليه قابلية لتلقي الوحي .

ذلك كان شأن الماديين حتى القرن الثامن عشر ،ولما انكشفت حقيقة التنويم المغناطيسي على يد العالم الألماني «مسمر»[1] اقتنع بعض الماديين بجواز حدوث الوحي على نحو ما جاء في النصوص الإسلامية . فقد دلت التجارب التي أجراها العلماء على آلاف الحالات من التنويم المغناطيسي أن الشخص المنَّوم مغناطيسيًّا ، يرى أشياء في أماكن بعيدة ،ويسمع أصواتًا صادرة من أماكن بعيدة ، ولا يتأتى له في حال يقظته أن يرى أو يسمع ما كان يراه أو يسمعه ، وهو تحت تأثير التنويم المغناطيسي .

---

(١) الزرقاني : مناهل العرفان ٦٦/١ .

وفي ضوء قوانين علم التنويم المغناطيسي وتجاربه ، اقتنع بعض المفكرين الماديين بأن الوحي الإلهي ليس إلا نتيجة صلة بين ذات مؤثرة ، وأخرى متأثرة .

وهذه النبذة الموجزة عن علم «التنويم المغناطيسي» تقرب إلى الأذهان حقيقة الوحي في التصور الإسلامي ، فهو في حالة تنزيل القرآن : عبارة عن اتصال جبريل عليه السلام بالرسول ﷺ ، اتصالاً أثر به ذو الطبيعة الملكية في ذي الطبيعة البشرية . فألقى الأول في قلب الثاني ما أوحاه ربه إليه لاستعداد خاص في كليهما ، ففي الأول خاصية التأثير وفي الآخر خاصية التأثر . والأول : روح مجردة ، وفي روح الآخر شفافية وطهارة ، جعلتاه أقرب ما يكون إلى طبيعة الملائكة ، من حيث تحقق العبودية الكاملة والطاعة الخالصة ، التي لا يشوبها شيء من عصيان .

وقد قرب هذا المعنى للأذهان الكاتب الجزائري « مالك بن نبي » رحمه الله بقوله : « ويمكننا أن نستخدم هنا مقياسًا فجًا ، ولكنه مفيد لعقول المغرمين بالعلوم ، هذا المقياس نجريه بين حالة التلقي هذه ، وبين ما يسمى بالانتقاء الخاص في جهاز الاستقبال ، ففي المجال الحسي تكون المسألة في أقصى صورها مسألة ضبط ، وفي محيط النبوة ، يمكن أن تتصل بوضع خاص بالنبي ﷺ في استقبال موجات ذات طبيعة خاصة »[1] .

(جـ) أمين الوحي :

لقد اتفق علماء أهل السنة على أن القرآن كلام الله أنزله بوساطة جبريل عليه السلام ، على النبي ﷺ ، قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء:١٩٣-١٩٥) واختلفت أقوالهم في الكيفية التي بها وصل القرآن إلى جبريل . فقال بعضهم : ألهمه الله القرآن إلهامًا ، وقال بعضهم : لعله كان يحفظه من اللوح المحفوظ ، وقال بعضهم : تلقف جبريل القرآن من الله تعالى سماعًا ، واستدل صاحب هذا القول بما أخرجه الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعًا : « إذا تكلم الله بالوحي ، أخذت السماء رجفة

---

(١) مالك بن نبى : الظاهرة القرآنية ص ١٤٧ .

شديدة من خوف الله ، فإذا سمع أهل السماء صعقوا وخروا سجدًا ، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، فينتهي به إلى الملائكة . وكلما مر بسماء سأله أهلها : ماذا قال ربنا ؟ قال : الحق فينتهي به حيث أمر »[1].

روى البخاري رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ أجاب من سأله : كيف يأتيك الوحي ؟ بقوله : « أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس ـ وهو أشدُّه عليّ ـ فيفصم عني وقد وعيت ما قاله ، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً ، فيكلمني فأعي ما يقول »[2].

والصورة التي وصفها النبي ﷺ بقوله : « وهو أشده عليّ » قربها للأذهان بعض العلماء بقوله : هي انخلاع النبي ﷺ ، من صورة البشرية إلى صورة الملكية في هذه الحالة من حالتي الوحي[3].

والذي كان جبريل يأتي به كلام يسمعه النبي ﷺ ، من نحو ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (العلق:١) وقد زعم بعض المفترين أن جبريل كان يأتي بالمعاني ، أما القوالب اللفظية فكانت من صنع محمد ﷺ وهو قول بَيِّن الخطأ ، وفي القرآن نفسه ما يدحض هذا ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (يونس:١٥) وقد أسند الله تعالى القرآن إليه في كثير من الآيات فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة:٦) وهل يستقيم عقلاً أن ينسب الله القرآن إليه وليس له فيه إلا المعاني؟ سبحانك هذا بهتان عظيم . . .

صحيح أن ظاهر قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ (التكوير:١٩،٢٠) يوهم أن القرآن كلام جبريل عليه السلام . ولكن آيات كثيرة أخرى ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء:١٩٢، والسجدة:٢ ، ويس:٥ وغيرها) تدل على أن الإضافة في ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ ﴾ لأدنى

(١،٢،٣) السيوطي : الإتقان ١/١٥٦ ط/ أبو الفضل إبراهيم .

ملابسة. وهي كون القرآن أنزل بوساطة جبريل. وقد صرح ابن عباس وقتادة، بأن المراد بالرسول هنا «جبريل عليه السلام» وبقولهما أقول للحديث الذي أخرجه ابن عساكر عن معاوية بن قرة قال: «قال رسول الله ﷺ لجبريل: ما أحسن ما أثنى عليك ربك: ذي قوة عند ذي العرش مكين، ثَمَّ أمين، فما كانت قوتك؟ وما كانت أمانتك؟ قال: أما قوتي، فإني بعثت إلى مدائن لوط، وهي أربع مدائن، وفي كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذراري، فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع أهل السماء أصوات الدجاج ونباح الكلاب، ثم هويت بهم فقتلتهم. وأما أمانتي، فلم أومر بشيء فعدوته إلى غيره»[1].

(د) لغة القرآن:

لقد أنزل القرآن باللغة العربية، قال تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ** ﴾ (إبراهيم:٤) ولكن قراءة بعض كلماته اختلفت بين القراءات المتواترة والقراءات الشاذة، وفي بعض الكلمات بين القراءات المتواترة نفسها، على النحو الذي سيأتي تفصيله في الفصول الآتية من الرسالة (من الخامس إلى العاشر).

ويبدو من خلال الأسماء التي ستناقش في تلك الفصول وعدة حالاتها (٢٤٩) مئتان وتسع وأربعون حالة، أن جل كلمات القرآن نزل وفق لهجة قريش، ولا غرابة في هذا فالرسول ﷺ قرشي، ولهجة قريش لهجته، وعليها عاداته في الأصوات ونواحي اللغة الأخرى، فنزول معظم القرآن بها مناسب، ما دام الله سبحانه وتعالى، قد اختار خاتم رسله من بين المتكلمين بهذه اللهجة. وكان من الطبيعي أيضًا أن تراعى لهجة قريش عندما أجمع الصحابة على توحيد رسم المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه، كما سيأتي تفصيله في «الفصل الثاني» على أن لهجة قريش كانت ـ قبل نزول القرآن بها ـ أفصح اللهجات العربية وأوسعها انتشارًا، وذلك لمنزلة قريش الدينية والاقتصادية، مما جعلها مفهومة لدى أصحاب اللهجات العربية الأخرى.

---

(١) السيوطي: الدرُّ المنثور ٦/٣٢١.

(هـ) تسجيل القرآن بالكتابة والحفظ في الصدور :

كان التسجيل الكتابي للقرآن ، قد تم في حياة النبي ﷺ ، وقبل التحاقه بالرفيق الأعلى ، إذ كان يسارع بعد أن يوحى إليه المقدار من القرآن ، فيدعو أحد كتبة الوحي ، ويملي عليه ما أنزل ، فيكتبه على الموجود من المواد ، جلد أو كتف الجمل أو أصول جريد النخل ، أو حجر رقيق أملس . أو على قرطاس من ورق البردي حينًا[1]. وكان معروفًا لدى العرب . قال حسان :

عرفت ديار زينب بالكثيب[2] كخط الوحي في الورق القشيب[3]

وكان أكثر الصحابة كتابة للوحي أمام النبي ﷺ ، «زيد بن ثابت» و«أبي ابن كعب» وقد أحصى ابن حجر رحمه الله من كانوا يتناوبون كتابة الوحي ، فوجدهم خمسة عشر رجلاً[4] ، وقال : بعض الباحثين : كانوا أربعين كاتبًا[5].

وإلى جانب التسجيل الكتابي الفوري ، كان الصحابة يسارعون إلى حفظ ما يتنزل . وقد حفظ بعض الصحابة القرآن كله والرسول ﷺ حيّ ، واشتهر منهم مهرة في الحفظ وطرائق الأداء ، بحيث صاروا معلمين لغيرهم من الصحابة والتابعين ومن هؤلاء المهرة : عبد الله بن مسعود ، وأبيٌّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء .

* * *

---

(١) البيروني : تحقيق ما للهند ص ١٣٣ وابن خلدون : المقدمة ١/٧٥٥ والقرطبي ١/٤٩ .

(٢) قدماء المصريين أول من صنع نبات البردي صحائف يكتب عليها وتوجد الآن في بعض المتاحف بمصر وغيرها ، وثائق كثيرة من هذا النوع من القرطاس .

(٣) ديوان حسان بشرح البرقوقي ص١٤ .

(٤) فتح الباري ٩/١٩ .

(٥) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ص ٦٩ .